

قراءة في إسهامات النظرية المعتمد في بناء مناهج الجيل الثاني التربوية في الجزائر

(النظرية البنائية الاجتماعية الثقافية لفيجوتسكي)

جهيدة ضيات

يمينة بن موسى

طالبة دكتوراه سنة خامسة تخصص بناء البرامج

دكتوراه في الارشاد النفسي التربوي

والمناهج-جامعة باجي مختار عنابة- الجزائر

أستاذة مؤقت بجامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي

jahidadayet@gmail.com

yamben123@gmail.com

الملخص:

سعت هذه الورقة إلى تسليط الضوء على أحد نظريات التعلم الحديثة، والتي هي النظرية البنائية الاجتماعية لفيجوتسكي، من خلال التعرف على الخصائص المميزة لها عن غيرها من النظريات، مثل السلوكية والبنائية المعرفية، وكذلك تحديد أهم انعكاساتها في بناء المنهاج، وذلك من خلال تحليل ما كتب عن هذه النظرية في المراجع المتخصصة. توصل البحث إلى أن النظرية البنائية الاجتماعية تخالف النظريات التقليدية في رؤيتها للتعلم، بحيث تؤكد على عملية بناء المعرفة والمعنى التي يقوم بها المتعلم من خلال التفاعل الاجتماعي واستخدام اللغة. **الكلمات المفتاحية:** النظرية البنائية الاجتماعية- مناهج الجيل الثاني.

مقدمة:

لقد فرض التطور الاجتماعي والاقتصادي والعلمي واقعاً جديداً على الجزائر، مما تطلب مراجعة مكونات النظام التربوي وخاصة المناهج، وذلك بجعلها تتماشى وهذه التغيرات والمستجدات سعياً نحو إقرار مدرسة جزائرية متطورة ومتقنة تتكفل بالإعداد الأمثل للأجيال، لأن سياق التجديد في العمل التربوي لا يمكن أن يكون له دلالة إلا إذا مس المنهاج المدرسي، باعتبار أن المنهاج ظاهرة اجتماعية ومحصلة لما قد يعتري المجتمع من تغيرات، لذا فإن جودته أو معيار صلاحيته رهن بقدرته على الاستجابة لتلك التغيرات، الأمر الذي يجعله أقدر على تحقيق النفع الاجتماعي،

وهو يصلح لتحقيق ذلك إذا كان محتواه من المادة الدراسية وطرائق التدريس وتكنولوجيا التعليم ومختلف الأنشطة، أدوات ذات فعالية في المواقف التعليمية.

وحتى نحقق ذلك لا بد من بناء تلك المناهج في ضوء نظريات تعلم تستجيب لتلك الأهداف. لأن نظرية التعلم هي مجموعة من القواعد التي تفسر حدوث التعلم وتنبأ بإمكانية حدوثه، من خلال تحديد الشروط التي يقع تحتها التعلم عادةً أو الظروف التي يحدث فيها. ومهمة المنهاج هو توظيف هذه النظرية لإيجاد الظروف التي تيسر حدوث التعلم الفعال، فالمنهاج الجيد يقوم على نظرية تعلم واضحة ومحددة، وقد ظهر عدد من النظريات التي تحاول تفسير التعلم ومن أحدث تلك النظريات، النظرية البنائية الاجتماعية.

وعليه؛ تم اعتماد مناهج الجيل الثاني في الجزائر على هذه النظرية ابتداءً من السنة الدراسية 2015/2016 (الدليل المنهجي لإعداد المنهاج، 2009، 21)، وذلك استناداً إلى نتائج الدراسات التي أكدت على فعالية المناهج القائمة على أسس النظرية البنائية في زيادة تحصيل إلى فعالية المناهج القائمة على مبادئ النظرية البنائية في زيادة Terwel الطلاب، إذ يشير معارف الطلاب وتنمية التفكير الناقد، وتطوير مهارات القراءة والكتابة، والمناقشة (العبد الكريم، 2012).

وعليه؛ بناء على أهمية هذه النظرية جاءت هذه الورقة لتبين كيف فسّر فيجوتسكي أطروحة الاجتماعية التي تعتبر نموذجاً جديداً في تفسير سيرورة التعلم؟.

■ التعريف بالنظرية البنائية الاجتماعية ليفيجوتسكي:

لقد حظيت النظرية البنائية باهتمام الباحثين في السنوات الأخيرة، ووفقاً لهذه النظرية فإن كل متعلم يبني معرفته اعتماداً على خبراته الشخصية الذاتية، وتفاعله مع البيئة المحيطة، فالمعرفة تنمو وتتطور ضمن الخبرات الخاصة بكل فرد، وهنا تأتي خصوصية بناء المعنى لدى كل فرد، وتقدم هذه النظرية المتعلمين على أنهم مفكرون نشيطون يقومون ببناء مفاهيمهم وأفكارهم الخاصة بهم، وأن المعرفة تتولد لديهم من خلال تفكيرهم وتفاعلهم النشط (النمراوي، 2011).

ونتيجة للاهتمام المتزايد من قبل التربويين والباحثين في هذا المجال، ظهرت أشكال متعددة (وتسمى أحياناً Social Constructivism للبنائية) كان من أهمها ما عرف بالبنائية الاجتماعية (النظرية الثقافية الاجتماعية لتأكيد دور الثقافة والمجتمع في التعلم، ويعتبر ليف فيجوتسكي (1896-1934) عالم النفس الروسي من أكبر روادها، ومفاد نظريته Lev Vygotsky) أنها تؤكد في نظريتها للتعلم على أنه عملية تتعدل فيها المعرفة الداخلية للتعلم كاستجابة

لاضطرابات الناتجة عن كل من التفاعل الاجتماعي والشخصي، حيث أن التعلم يتأثر بالآخرين والتفاعل الاجتماعي يلعب دوراً في إعادة البنية المعرفة اعتماداً على الخبرات".

غلب على نظريات التعلم قبل البنائية الاجتماعية تصويرها على أن المتعلم يتعامل مع المعرفة بشكل فردي ومنعزل عن حوله، وأن التعلم شيء يحدث للمتعلم. فالتعلم في النظرية السلوكية وفي النظرية المعرفية كما قدمها بياجيه ينظر إليه في سياق فردي، لا يذكر فيه أثر للمجتمع. فبياجيه ينظر إلى الطفل الصغير على أنه عالم يستكشف البيئة من حوله، إلا أنه مع هذه النظرة وفي ظل تركيزه على عملية البناء المعرفي، يغفل حقيقة مهمة وهي أن هذا الاستكشاف في الحقيقة لا يقوم به الطفل منعزلاً عن مجتمعه المحيط به، ولا يمكن أن يتم دون تأثير من ذلك المجتمع. وهذا قد يكون أوضح في حال تعلم الكبار، فينذر أن يتعلم الإنسان إلا بتفاعل اجتماعي، فحتى في حال التعلم الذاتي الذي لا يعتمد فيه المتعلم على المدرسة أو المعلم، لا بد للمتعلم من قراءة ما كتبه العلماء، أو سؤالهم، أو الاستماع لما يقوله الناس، أو على الأقل التأثر بشيء من ذلك أثناء عملية التعلم. فالتعلم وبناء المعرفة إذن لا تتم إلا في سياق اجتماعي، فبياجيه يغفل الطبيعة الاجتماعية للتعلم وهو ما أكد عليه فايغوتسكي (العبد الكريم، 2012).

ففي نظرية بياجيه يحدث النمو بشكل أساس من الداخل متجهاً إلى الخارج، فالقدرات تتضج ثم يقوم الطفل بتطبيقها على المهمة التي تواجهه في الحياة. وترى النظرية البنائية الاجتماعية العكس تماماً في النمو. فحسب ليف فايغوتسكي فإن النمو العقلي يبدأ من الخارج متجهاً إلى الداخل، حيث تنشأ جذور العمليات الداخلية والذاتية لدى الفرد من تفاعله مع الآخرين. فالأطفال يشاهدون التفاعل بين الناس من حولهم، ويتفاعلون هم مع الناس، ويستفيدون من هذه التفاعلات لزيادة نموهم. ففايغوتسكي يرى أن نمو الفرد يعتمد على الأثر الاجتماعي والبيئي بقدر ما يعتمد على النضج.

لهذا ففايغوتسكي يعارض رأي بياجيه فيما يتعلق بالمراحل النمائية، حيث يرى فايغوتسكي أن النمو يتأثر بتفاعل الطالب مع من حوله، أكثر من تأثره بالمرحلة التي هو فيها، بل إن البيئة المحيطة بالطالب تؤثر كثيراً في تحديد هذه المراحل. ويرى فايغوتسكي أنه يوجد طفلان في المرحلة النمائية ذاتها، لكن أحدهما يتفاعل مع زملائه أو مع من هم أكبر منه فيؤدي أشياء لا يمكن أن يؤديها الطفل الآخر الذي لم يتعرض لتفاعل اجتماعي مماثل (العبد الكريم، 2012)، ولنا مثال على ذلك في قصة حي بن يقضان أو فتى الغابة (ما وكلي).

إذاً فالبنائيون الاجتماعيون يرون أن بناء المعرفة لدى الأفراد يحدث على المستوى الاجتماعي أولاً ثم يتحول إلى المستوى الذاتي لدى المتعلم، لذا فقد اهتم فيجوتسكي بالنمو الاجتماعي في التعليم حيث يرى أن العقل ينمو نتيجة مواجهة الأفراد لخبرات جديدة، وإصرارهم لحل التعارضات التي تفرضها هذه الخبرات، وفي محاولة لتحقيق الفهم، يربط الأفراد المعرفة الجديدة بالسابقة وبينون معنى جديداً وتختلف أفكار فيجوتسكي عن بياجه، فابياجه ركز على مراحل النمو العقلي التي يمر بها جميع الأفراد بغض النظر عن السياق الاجتماعي أو الثقافي، أما فيجوتسكي أولى أهمية كبيرة للجانب الاجتماعي وأكد على أن تنمية عمليات التفكير العليا تتطور من خلال التفاعلات والحياة الاجتماعية النشطة داخل الصفوف المدرسية بواسطة التواصل اللغوي واستخدام الكتابة (النمراوي، 2011؛ خيرى، 2018، 60).

وقد طرح فايغوتسكي فكرتين مهمتين في مجال التعلم هما:

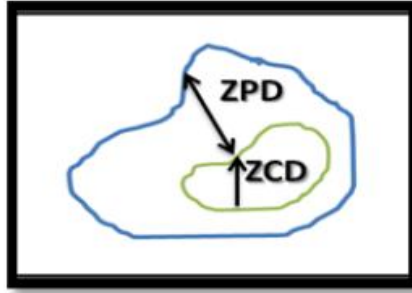
1 تدويت المعرفة: (Internalization):

حيث يرى أن الطفل يتعلم من خلال مشاهدة الآخرين وطريقة التفاعل بينهم، فالطفل الذي يحاور وكيف يتبنى رأياً في المواقف المشابهة، ويتعلم السلوك داخل المدرسة من خلال مشاهدة الطلاب الآخرين وطريقة تصرفهم، فالأطفال يوجدون داخلهم التفاعل الذي يرونه أمامهم بين الناس. وكلما زاد ما يشاهده الطفل زادت قدرته على استخلاص المعلومات، ويرى فايغوتسكي أن اللغة مرتبطة بالتفكير، وأن تطور اللغة مهم لتشرب (تدويت) الأفكار المعقدة، وكلما كانت لغة الطفل متطورة استطاع أن يفهم الحوار الذي يدور بين الكبار ويتعلم منه (العبد الكريم، 2012). من خلال هذه النقطة -تدويت المعرفة- وما أكد عليه فايغوتسكي أن اللغة مرتبطة بالتفكير، وأن تطور اللغة مهم لتشرب (تدويت) الأفكار المعقدة، وكلما كانت لغة الطفل متطورة استطاع أن يفهم الحوار الذي يدور بين الكبار ويتعلم منه، لذلك فإن مناهج الجيل الثاني جعلت من اللغة العربية كفاءة عرضية وأكدة على تبني استراتيجيات تثنى اللغة العربية وجعلها مواكبة للتطورات العلمية والتكنولوجية والحضارية من خلال تزويدهم بكفاءات يمكن استثمارها في مختلف وضعيات التواصل الشفهي والكتابي وعدم اقتصار اللغة العربية على معرفة بعض النماذج الأدبية وبلاغتها ولا معرفة القواعد النحوية الصرفية فحسب، بل جعل المتعلم يبلغ أعلى مستوى من الفهم والإدراك واستعمالها كلغة حية، وكذلك التركيز على أهمية تكنولوجيا الاعلام والاتصال الجديدة التي تشكل عامل إثراء لبيداغوجيا اللغات (الدليل المنهجي لإعداد المناهج، 2009).

2 منطقة النمو القريبة المركزية (النمو الوشيك) (ZPD): Zone of Proximal Development (Development):

تعد منطقة النمو المتقارب من أشهر المبادئ التي استند عليها فيجوتسكي لتفسير العلاقة بين التعلم والنمو بمعنى أن هناك علاقة بين تطور النمو وتطور تعلم الطفل، وعرفها فيجوتسكي بأنها "المسافة بين مستوى التطور الفعلي الذي يتحدد من خلال حل المشكلة بشكل مستقل ومستوى النمو المتوقع، والذي يتحدد من خلال حل المشكلة تحت إشراف البالغين أو بالتعاون مع أقران (2012) إلى أن فيجوتسكي يعرف منطقة النمو المتقارب بأنها ما لديها قدرات أكبر". وأشارت يستطيع الطفل عمله اليوم بشكل تعاوني سوف يستطيع أن يفعله غداً بشكل مستقل (الهذلي، 2015)، بمعنى حيز النمو الممكن هو المسافة بين ما يمكن أن ينجزه الطالب بمفرده وبين ما يمكن أن ينجزه عندما يساعد بواسطة أفراد آخرين، فالطالب لديه مستويان من النمو، هما مستوى النمو الفعلي وهو المستوى العقلي الحالي للطالب وقدرته على التعلم بنفسه، ومستوى النمو الكائن وهو المستوى الذي يستطيع الوصول إليه بمساعدة الآخرين، وهذا الفرق بين المستويين هو حيز النمو الممكن (الدواهيدي، 2012، 26)، فما يقوم المتعلم به اليوم بمساعدة الراشدين، سوف يعمل (غير ساكنة وإنما استمرارية للسلوك ZPD غداً بمفرده. باعتبار أن منطقة النمو القريبة المركزية) أو درجات النضج، واستخدام كلمة الأدنى أو القريبة ويقصد بذلك المنطقة التي تحدد بتلك السلوكيات التي ستتطور في المستقبل القريب، فهي تعني أن السلوك أقرب إلى الظهور في أي وقت، وليس من الواجب أن يظهر في نهاية المطاف (بن سلمان، 2012، 15-16؛ غيلوس، 2017).

(حيث إن منطقة التطوير الحالي ZPD ويوضح الشكل (01) حدود منطقة النمو المركزية)
(تمثل المستوى الذي يمكن أن يصل إليه الطالب خلال حل مشكلة بصورة مستقلة، ومنطقة ZCD)
(هي المسافة المحتمل أن يصلها الطالب بمساعدة نظير أكثر قدرة ZPD النمو القريبة المركزية)
بعد نجاح المهمة (بن سلمان، 2012، 15-16).



(شكل رقم 01) يوضح حدود منطقة النمو المتقريبة المركزية (ZPD)

- (منطقة النمو الوشيك) هي العنصر ZPD وما دامت منطقة النمو القريبة المركزية (المهم والأساسي في نظرية فيجوتسكي والتي تخص عمليتي التعلم والتدريس، فإن هذه المنطقة تنمى على مراحل وهي:
- **مرحلة المساعدة من الآخرين الأكثر قدرة:** في هذه المرحلة يعتمد الأطفال على البالغين أو الأقران الأكثر قدرة لأداء المهمة قبل الانشغال بها بمفردهم، وهنا تعتمد كمية ونوع المساعدة على عمر الطفل وطبيعة المهمة، وبذلك يكون تنشيط اتساع وتعاقب منطقة النمو القريبة المركزية في المتناول.
- **مرحلة الأداء المساعد الذاتي:** ينتقل الطفل في هذه المرحلة إلى معرفة المسؤوليات والقواعد اللازمة، فهذه المسؤوليات التي قسمت سابقاً بين الطفل والبالغ أصبح الآن بإمكان الطفل السيطرة عليها كاملة لوحده فالنشاط الذي يتطلب إنجازه بمساعدة الآخرين يمكن أن ينجزه الطفل لوحده، فأنماط النشاط التي مارسها الطفل لحل مشكلة معينة التي كانت مبنية على التفاعل بينه وبين الناس أصبحت بعد ذلك بينه وبين نفسه. ففي هذه المرحلة ينجز الأطفال المهمة بدون مساعدة الآخرين ولكن هذا لا يعني أنه تم تطوير أداء الطفل بشكل كامل (الدواهيدي، 2006، 28-29).
- **مرحلة تلقائية الأداء (التثبيت):** في هذه المرحلة ينتقل الطفل في منطقة نموه إلى مرحلة متطورة لتلك المهمة، فيستطيع أدائها بشكل كامل وتناغم بدون مساعدة؛ بل على العكس فالمساعدة في هذا الوقت تعتبر معرقة ومزعجة. فالأداء هنا لم يعد يُطور بل يتطور فقد وصفه فيجوتسكي بثمار التطوير (Fruit) ووصفه أيضاً بأنه تحجر (Fossilized) دلالة على ثباته وبعده عن التغيير بفعل القوى العقلية والاجتماعية.

- **مرحلة إزالة تلقائية الأداء :** إن عملية التعلم عند الأفراد تتكون من نفس هذه الخطوات المتسلسلة والمنظمة لمنطقة النمو القريبة المركزية (ZPD)؛ فالانتقال من مساعدة الآخرين إلى مساعدة الذات، وبتكرار هذه الخطوات مرة تلو الأخرى تنمو قدرات جديدة عند الفرد. ففي فترة ما من حياة الأفراد لديهم توليفة من التنظيم من قبل الآخرين، ثم التنظيم الذاتي، إلى العمليات ذات الصبغة الآلية. وعندما ينتهي الفرد من استملاك المهارة وتتطور قدرته على أدائها بآلية وتلقائية يستطيع أن يعود مرة أخرى خلال منطقة النمو القريبة المركزية (ZPD) لاستملاك مهارة جديدة. وهكذا تستمر دورة منطقة النمو القريبة المركزية لاستملاك المهارات واكتساب المعرفة المتراكمة، وتتدخل عوامل عديدة في إزالة تلقائية الأداء ومنها:

1 طبيعة التفاعل الاجتماعي للتعلم:

يولي فيجوتسكي اهتماماً كبيراً للغة باعتبارها أداة تنقل الخبرة الاجتماعية إلى الأفراد وتشكل المناخ العام لبيئة الفصل، وهي وسيط للفكر، ويتصور فيجوتسكي أن الكلام عند الطفل يكون اجتماعياً في البداية، ثم يليه الكلام المتمركز حول الذات، وبعده الكلام الداخلي (التفكير). كما أنه يقرر بصراحة أن تدفق التفكير لا يصاحبه ظهور متزامن للكلام فالعمليتان ليستا متماثلتين، ولا يوجد تطابق جامد بين وحدات التفكير ووحدات الكلام، فالتفكير له بناؤه الخاص فهو لا يتم التعبير عنه في كلمات ولكنه يأتي إلى الوجود من خلال هذه الكلمات، والكلام الداخلي بالنسبة لفيجوتسكي ليس مجرد النطق الصوتي للجمل من خلال هذه الكلمات كما يرى واطسن، بل هو صورة أو شكل خاص من أشكال الكلام يقع بين التفكير والكلام المنطوق، ولكن علاقة التفكير بالكلام تتغير بثبات فهي تعتبر شيئاً ليس له معنى، والتفكير غير المدفون في الكلمات يعتبر سراباً.

وقد أوضحت كتابات فيجوتسكي أن الكلمات تتغير مع المجتمع، وأن الكلمات التي يستخدمها الطفل هي في الغالب نفسها التي يستخدمها الراشد في الحديث، ولكنها ليست بنفس المعنى والمدلول كما يستخدمها الراشد فمثلاً كلمة (أخ) لها معنى عند الطفل تختلف عن الأعلى Equivalence سناً، وتختلف عن الراشد. فالنقطة الرئيسة لفيجوتسكي هي الترادف الوظيفي (الذي يمد الطلاب بأرضية دارجة شائعة لعمق المواجهة والعمل تجاه التفاعل القريب Functional لفهم المعنى، وهذه الأرضية الشائعة تسمح للطلاب بتنمية الفهم الكامل للمفاهيم تدريجياً فهي عملية بنائية للمعنى من خلال المدخل الثقافي(الدواهيدي، 2006، 32).

وبذلك فإن بناء المعرفة وفقاً لنظرية فيجوتسكي في الفصول تتم من خلال المناقشة الاجتماعية والتفاوض بين المعلم والطلاب وبين الطلاب وبعضهم كعملية اجتماعية ثقافية لتوجيه

تفكير الطلاب وتكوين المعنى؛ فالمعرفة تأتي بداية من خلال تفاعل اجتماعي للمتعلم مع شخص آخر أكثر معلوماتية ثم بعد ذلك تبني ذاتياً كنشاط فردي، وبذلك المعرفة العلمية تحدث من المستوى الاجتماعي ثم إلى المستوى السيكولوجي، وبين الأنفس ثم إلى داخل الأنفس؛ فتظهر في المستوى النفسي الخارجي بين الطفل ووالديه وأسرته والبيئة المحيطة، ثم تظهر بعد ذلك على مستوى الداخلي الذاتي كعدسات للبصيرة والعمل والتحدث تجاه هذه الظواهر ثم تتداول بين المتعلم والآخرين.

فطبيعة التفاعل الاجتماعي للتعلم هي عدم فصل الفرد عن المجتمع في بناء السياق المعرفي، وتشجيع التعلم من خلال النشاط الجماعي التعاوني بين الطالب والمعلم وبين الطلاب وبعضهم، فالمعلمون لا يفرضون أفكارهم على المتعلمين، ولكن التعلم الحقيقي يخلق من خلال الاشتراك في العمل وتوليد الوظائف النفسية الفردية (الدواهيدي، 2006، 33).

2 دور الأدوات النفسية والفنية:

الوسائط الرمزية مفتاح لبناء المعرفة، ولفيجوتسكي آليات رمزية من ضمنها الأدوات النفسية التي تتوسط بين الأعمال الفردية والأعمال الاجتماعية وتوصل داخل الفرد بخارجه، والفرد بالجماعي. وأدرج فيجوتسكي عدد من الأمثلة للوسائل الرمزية مثل اللغة، الأنظمة المختلفة للحساب، الكتابة، القطع الفنية، المخططات، الخرائط والرسم، وكل أنواع الإشارات التقليدية. (وجهة نظر فيجوتسكي لدور الوسائل الرمزية كما عبر عنها Jerome Bruner; 1962 لوصف) فيجوتسكي في مقدمة كتاب اللغة والتفكير بأن في إتقان الطبيعة نتقن أنفسنا، واللغة هي الأداة القوية التي تجلب الأفكار الداخلية من خلال الحوار الخارجي، فالأدوات النفسية لا تنتج في العزلة ولكنها منتجات التطور الثقافي الاجتماعي للأفراد الذين ينشطون في مجتمعاتهم. والأدوات النفسية مثل (الكتابة- الرسم- الحوار الشفهي- الرموز- الإشارات- الأفكار- المعتقدات- اللغة...) بها يتحدث المتعلم عن الظاهرة من خلال ما اكتسبه من مفاهيم يومية نتيجة للتفاعلات الاجتماعية والأنشطة النفسية الخارجية، وهذه المفاهيم غير موجودة بشكل علمي في الظاهرة، وتعتبر هي نقطة بداية تنبع من المتعلم كتحفيز داخلي وتهيئة له للتعلم، وتوضح مدى فهم المتعلم للمفهوم، وهي أدوات وسيطة للرؤية والعمل والتحدث والتفكير تجاه المفهوم، ومن الأدوات التي تساعد على التعلم استخدام الأدوات الفنية مثل: (الأجهزة، المقاييس، الميكروسكوب...)

فالأدوات النفسية وظفت كأداة لرؤية المفهوم من وجهة نظر المتعلم لتمده بطرق المعرفة والأدوات الفنية تمده بكيفية الحصول على المعرفة (محمد ريان، 2010، 47).

3 دور التفاعلات الاجتماعية كوسيط لتفكير المتعلم والممارسة الثقافية:

يشير فيجوتسكي إلى أن العامل الأكثر أهمية لبناء المعنى هو التفاعلات الاجتماعية على المستوى السيكلوجي الخارجي، مثل الحوار والمناقشة والتفاوض بين المعلم والطالب وبين الطلاب مع بعضهم البعض، فالمعلم يلعب دور الوسيط الذي يصل بالطالب بين المعرفة الدارجة والمعرفة العلمية فيوجهه تدريجياً نحو فهم وإتقان المهمة، ومن ثم تزداد لديه عملية التفكير الصحيح، ويعد هذا مفتاحاً لتحفيز فهم الطالب للمعرفة وتنمية منطقة النمو المركزي (بن سلمان، 2012، 17).

4 الدور المتبادل بين المفاهيم اليومية والمفاهيم العلمية:

لقد صنف فيجوتسكي مفاهيم المتعلمين إلى فئتين تعكس السياق المرتبط بهما: المفاهيم اليومية (التلقائية) والمفاهيم العلمية. المفاهيم اليومية تتكون من خلال التفاعلات والخبرات خارج المدرسة، والمفاهيم العلمية تتكون من خلال التفاعلات والخبرات داخل المدرسة، كما أن المفاهيم اليومية تتمركز في الظواهر وتبنى على المظهر المادي والسمات الشكلية للظواهر كما أنها تعتمد على الخبرات اليومية. ولكن المفاهيم العلمية تتكون من خلال عمليات عقلية، والمفاهيم اليومية تتجه صاعداً من الظواهر إلى العمومية، والمفاهيم العلمية تتجه هابطة تجاه الظواهر.

ولاكتساب المفهوم لا بد أن نبدأ من المفهوم في حد ذاته ما صورته عند المتعلم من خلال (العلامات - اللغة...) ثم المفهوم للآخرين (اجتماعياً)، ثم تكوينه عند المتعلم ذاته. والمعلم يحاول التكامل بين المفاهيم اليومية والمفاهيم العلمية، ويمد المتعلم بالمساعدات للدخول إلى المفاهيم " ليحول ويكامل ويعمم Meta Cognitive العلمية، ويستخدم المتعلم عمليات ما وراء المعرفة " معرفته اليومية (المادة الخام الطبيعية) إلى نظام متماسك من المفاهيم العلمية.

فالمفاهيم اليومية التلقائية في نظر فيجوتسكي تنمى من المحسوس للمجرد أما المفاهيم العلمية تنمى في الاتجاه العكسي، فالمتعلم يلائم المفاهيم اليومية داخل النظام المفاهيمي الذي يعلم في المدرسة (المفاهيم العلمية)، وفي نفس الوقت لا بد أن يفهم المفاهيم العلمية من خلال التطبيق بأمثلة محسوسة في ضوء خبراته، فالإتجاه من المحسوس للمجرد ومن المجرد للمحسوس، فالحركة في الإتجاهين ضروري للفهم، من الخبرات اليومية لتتكامل داخل النظام المفاهيمي العلمي، وتطبيق المفاهيم العلمية في الخبرات اليومية، فالتعلم من الحياة وإلى الحياة.

وهناك ثلاثة اتجاهات مختلفة لفيجوتسكي لتقريب المفاهيم العلمية بداية من المفاهيم التلقائية اليومية وهي:

- الارتباط الوثيق بين المفهوم المستهدف والخبرة اليومية (المفاهيم التلقائية)، وبذلك فإن المفهوم المستهدف يدرس بداية بالمفاهيم التلقائية، وتكون لها تأثير كبير على اكتساب المفاهيم العلمية.
- المفاهيم المستهدفة أقل درجة في الاستخدام اليومي ومن هنا يحاول المعلم أن يختار المفاهيم اليومية القريبة مما هو مستهدف كبداية للفهم.

- لا يوجد ارتباط بين المفاهيم المستهدفة والمفاهيم اليومية فيحاول المعلم استخدام وسائل ومدعمات لتثبيت المفاهيم العلمية في غياب المفاهيم اليومية (الدواهيدي، 2006، 37-38). وتتكون المفاهيم لا بتكرار الخبرة، ولا داخل اللعب المصاحب، ولكن عن طريق عمليات عقلية مثل الوظائف العقلية كالذاكرة والانتباه والاستنتاج المشترك، واللغة كمرشدة وموضحة للتفكير. فالتدريس في ظل الرؤية الثقافية الاجتماعية في الفصل تدعم وتنشط فهم الطلاب وتساعدهم على خلق معرفة جديدة من خلال التعاون في جو اجتماعي.

مما سبق يتضح أن النظرية البنائية الاجتماعية حولت نقطة التركيز في التعلم من نضج المتعلم إلى تفاعله الاجتماعي، ومن دور المعلم إلى دور المتعلم فصار ينظر إلى عملية التعلم على أنها عملية بناء بدل أن تكون عملية اكتساب أو نقل. مما أدى إلى تغير في خطوات تقديم الخبرات التعليمية، على الرغم من أنه ليس هناك اتفاق كامل على نماذج محددة للتدريس لكن توجهات البنائية الاجتماعية تتفق في التأكيد على السمات التالية:

1 بيئات التعلم المركبة والمهمات الواقعية أو الأصيلة:

حيث يرى البنائيون أن المتعلمين يجب أن لا يعطوا مشكلات مبسطة وسهلة أو تمارين مهارية أساسية، بل بدلا من ذلك يجب أن يتعاملوا مع حالات مركبة، ومشكلات غير واضحة وغير منظمة. فالعالم خارج المدرسة نادراً ما يكون فيه مشكلات مبسطة أو أمور تسير خطوة خطوة بشكل مبسط ومنظم. فعلى المدارس أن تتأكد من أن كل طالب يتعرض لخبرة حل المشكلات المركبة. ويجب أن تكون هذه المشكلات مضمنة في مواقف وأنشطة حقيقية وواقعية (العبد الكريم، 2012).

من خلال ما سبق نلاحظ أن مناهج الجيل الثاني قامت بهيكلة المواد في مقاطع تعليمية تضم مجموعة مرتبة ومتراصة من الوضعيات والأنشطة والمهمات، تبدأ بطرح وضعية مشكلة انطلاقاً من (الوضعية الأم) وتكون شاملة للموارد التعليمية المستهدفة خلال المقطع التعليمي، ومن

سماتها أنها مركبة تنبثق منها وضعيات جزئية وتعمل على تحفيز المتعلمين لإرساء الموارد التعليمية الضرورية، وتجنيدھا بشكل مدمج من أجل حلها وحوصلة التعلّات المتعلقة بها عند نهاية المقطع(مدرية التعليم الأساسي، 2016، 28) كما يوضحها الجدول التالي:

الأسبوع الأول	الأسبوع الثاني	الأسبوع الثالث	الأسبوع الرابع	الوضعية المشكلة الانطلاقية
إرساء موارد معرفية وادائية+ قيم وكفاءات عرضية	إرساء موارد معرفية وادائية+ قيم وكفاءات عرضية	إرساء موارد معرفية وادائية+ قيم وكفاءات عرضية	حل الوضعية الانطلاقية التقييم والإدماج	
تعلم إدماج	تعلم إدماج	تعلم إدماج	المعالجة والدعم	

المصدر: (مدرية التعليم الأساسي، 2016، 28)

2 النقاش الاجتماعي:

يشارك كثير من البنائين فيجوتسكي الاعتقاد أن العمليات العقلية العليا تنمو من خلال التفاعل الاجتماعي. ولذلك فالتشارك في التعليم امر مرغوب وقيم. ويرى بعض البنائين أن الأهداف الأساسية للتدريس هي تنمية قدرة المتعلمين على تأسيس وجهات نظرهم والدفاع عنها، مع احترام وجهات نظر الآخرين. ولتحقيق ذلك فلا بد أن يتحدث الطلاب ويستمع بعضهم لبعض(العبد الكريم، 2012).

وعليه؛ نلاحظ أن هذه النقطة قد تم تجسيدها في مناهج الجيل الثاني - منهاج اللغة العربية للطور الأول من التعليم الابتدائي نموذجاً- أن الوضعية المشكلة حتى يبدأ حلها بطريقة تشاركية تكون من خلال فهم المنطوق والذي يعتمد على نص يلقيه المعلم على المتعلمين بعد أن يهيئ الظروف المثلى للاستماع. ويتوخى أثناء الإلقاء جهازة الصوت، وإبداء الانفعال مع مختلف المواقف المتضمنة في النص، والتفاعل يكون بتنغيم الصوت والإشارات والحركات، والغرض من ذلك إثارة المتعلمين المستمعين واستمالتهم بجملة من المواقف والمعاني. ثم يتبعه نشاط التعبير الشفوي، ويكون من خلال التعبير الحرّ عن المشاهد ثمّ التعبير الشفوي الموجه بأسئلة هادفة توجه المتعلمين للتعبير عن مضمون المشهد. علماً أن المشاهدة تكون مستمدة من نفس الحقل المفاهيمي

للنص المنطوق مع حرص المعلم على ضرورة توجيه المتعلمين من خلال الأسئلة المطروحة إلى استثمار بعض معطيات النص المنطوق في التعبير عن المشاهد، وفسح المجال للمتعلمين للتعبير بطلاقة دون تقييدهم بصحة التعبير من أجل إثراء رصيدهم المعرفي (مدرية التعليم الأساسي، 2016، 28).

3 التمثيلات المتعددة للمادة:

ويتم ذلك من خلال دراسة الموضوع أو المشكلة عن طريق تقديم عدد متنوع من المقارنات والأمثلة والاستعارات. وعدم الاقتصار على مثال واحد يحاكيه الطلبة، أو يكررون ضربه مثالا كلما طرح الموضوع.

4 فهم عملية بناء المعرفة:

يرى التوجه البنائي أهمية إدراك المتعلم للطرق التي يتعلم من خلالها. فيسعى التوجه البنائي إلى مساعدة الطلبة على فهم دورهم في عملية بناء المعرفة عن طريق بيان أن ما لدينا من فرضيات وقناعات واعتقادات وخبرات يشكل ما يكونه من معرفة حول العالم. فالفرضيات والخبرات المختلفة تقود إلى معارف مختلفة. فالبنائيون يركزون على فهم عملية بناء المعرفة ليكون الطلبة مدركين للمؤثرات التي تشكل تفكيرهم، بحيث يستطيعون اختيار وجهات نظرهم وبنائها والدفاع عنها بطريقة نقدية ذاتية، مع احترام آراء الآخرين.

5 التعلم النشط:

التعلم النشط هو التعلم الذي يتم فيه استثمار العمليات العقلية المختلفة لدى المتعلم، فالتعلم النشط هو أي نشاط يشترك المتعلم في العمل وفي التفكير فيما يعمل (العبد الكريم، 2012). ومما سبق يمكن القول أن المناهج يتم بنائها وفقاً للنظرية البنائية الاجتماعية ليفجوتسكي على النحو التالي:

- 1 **الأهداف التعليمية:** تصاغ في صورة أغراض عامة تحدد من خلال عملية مفاوضة اجتماعية بين المعلم والمتعلمين.
- 2 **المحتوى:** يجب أن يكون ذا صلة ببيئة المتعلمين وواقعهم حتى يمكن تنمية المفاهيم والمهارات المختلفة.
- 3 **أساليب التدريس:** يوجد عدد من النماذج والاستراتيجيات التي تعكس أسس نظرية فيجوتسكي الثقافية الاجتماعية، وبنيت على أساس المشاركة الموجهة داخل حيز النمو الممكن، حيث التدريس ضمن سياقات ذات معنى للمتعلم من الناحية الشخصية، ومناقشة معاني مشتركة مع

- المتعلمين الآخرين داخل غرفة الفصل ضمن تعاون المجموعات الصغيرة، والتفاوض بين المتعلمين في المعنى المشترك بينهم والمناقشة الصفية. ومنها:
- **التعليم التبادلي (Reciprocal Teaching)**: تُعد طريقة التدريس التبادلي أحد الاستراتيجيات القائمة على البنائية الاجتماعية والتي تساعد المتعلمين على الفهم وبناء المعنى من خلال المناقشات، والحوار بين المعلم والمتعلمين.
 - **مشروع مشاركة المتعلمين (The Community of Learners Project)**: مشروع تربوي علمي مستمر ومتواصل يسعى إلى تطوير المدارس بما يتلائم مع مستجدات العصر وذلك بإعادة هندسة العملية التعليمية وإدماج التكنولوجيا في التعليم والتركيز على نشر ثقافة التعلم النشط التفاعلي التبادلي، وتوفير بيئة مدرسية تساعد على الإبداع والابتكار.
 - **نموذج (التلمذة) المعرفي (Cognitive Apprenticeship Model)**: تُعد التلمذة المعرفي هي تصميم تدريس أو استخدامه كاستراتيجية للتعلم بحيث يتعلم الطلاب من خلاله عن طريق المساعدة والإرشاد من قبل المعلم أو الخبير (Ilmiani; 2017).
 - **نموذج التعلم التوليدي (Generative Learning Model)**: يُعد نموذج التعلم التوليدي أحد الاستراتيجيات القائمة على البنائية الاجتماعية، ويتم تنفيذه وفق أربعة أطوار متتابعة، مبنية على أفكار فيجوتسكي، وهذه الأطوار هي:
 - **طور التمهيدي**: يكون الانطلاق من أفكار المتعلمين مع ترك المجال للحديث حول المفهوم (لفظاً أو كتابة) وبعد ذلك تصاغ التصورات وتبنى المشكلة.
 - **طور التركيز**: العمل في مجموعات متعاونة تتفاوض من أجل تمثل المعنى، وتقبل الأفكار دون تمحيص، ثم تناقش لتوسع المدركات وبنيتها المعرفية.
 - **طور التحدي**: يستعمل الأستاذ الدعائم التعليمية كالخطيط والخرائط الذهنية، والصور التوضيحية، مع توجيه المتعلمين نحو الأخطاء ومصارحة النفس والتصحيح الذاتي.
 - **طور التطبيق**: يمد الأستاذ المتعلم ببعض النصائح لاستعمالها في التقويم الذاتي.

بطاقة نشاط وفق نموذج التعلم التوليدي	المراحل
--------------------------------------	---------

أ) التوجيه: وفيها يمهّد الأستاذ المناخ الدراسي، ينطلق من مشكلة (ملاحظة أو مروية أو مكتوبة لظاهرة ما في محيط المتعلم، ويدعو المتعلمين إلى إبداء ملاحظاتهم، أو يطرح هو أسئلة، بحيث تكون داعية للتفكير. ب) إثارة الخبرات اليومية للمتعلم: وفيها يعرض المعلم بعض الأمور المحيرة والأحداث المتناقضة أو القضايا البيئية أو مواقف حياتية مختلفة، لإثارة أفكار الطلاب وخبراتهم اليومية عن موضوع الدروس والتي تؤدي إلى شعور الطلاب بالحاجة إلى البحث والتتقيب للوصول للحل، مع مراعاة أن تكون الأسئلة والأشياء المعروضة عليهم ذات ارتباط بالمعلومات السابقة لديهم.	مرحلة الانطلاق
يقوم الأستاذ بتقسيم المتعلمين إلى مجموعات صغيرة غير متجانسة. التركيز على المفاهيم المستهدفة أو السلوكيات المراد إكسابها للطلاب، مع تقديم المصطلحات العلمية وإتاحة الفرصة للتفاوض والحوار بين المتعلمين. تقوم كل مجموعة بتفسير الأنشطة وحل الأسئلة الخاصة بها استعداداً لعمل جلسة حوار عامة مع الأستاذ.	مرحلة التركيز
-إعادة تقديم المصطلحات والتحديات بين ما كان يعرفه المتعلم قبل التعلم وبعده. - الاستفاضة في المناقشة بين جميع الأطراف. - مقارنة بين معرفة وسلوكيات المتعلم قبل الأفكار الجديدة وبعدها.	مرحلة التحدي
-إيجاد تطبيقات مناسبة لما توصلوا إليه من مفاهيم واستنتاجات وحلول في مواقف أخرى مشابهة في الحياة. - يصبح كل ما تعلمه الطالب جزء من قيمه وسلوكياته التي يتعامل بها مع أفراد مجموعته.	مرحلة التطبيق

(غيلوس، 2017)

- **أسلوب التعلم الذاتي:** هو النشاط التعليمي الذي يقوم به المتعلم مدفوعاً برغبته الذاتية بهدف تنمية استعداداته وإمكاناته وقدراته مستجيباً لميوله واهتماماته بما يحقق تنمية شخصيته وتكاملها.
- **نموذج التعلم البنائي الاجتماعي (Social Constructivist Learning Model):** يعد نموذج التعلم البنائي الاجتماعي أحد الاستراتيجيات القائمة على البنائية الاجتماعية، ويتم تنفيذه وفق خمس مراحل متتابعة. مبنية على أفكار فيجوتسكي، ينتقل من خلالها المتعلم من مستوى

الحالي إلى مستوى النمو الذي يمكن الوصول إليه من خلال المساعدة بواسطة المعلم أو بمساعدة أحد أقرانه من المتعلمين.

- 4 **الوسائل التعليمية:** تستخدم الأجهزة والمقاييس المختلفة، والكمبيوتر والانترنت.
- 5 **الأنشطة التعليمية:** تصمم أنشطة فردية، بالإضافة إلى الأنشطة التعاونية والاجتماعية.
- 6 **التقويم:** يتم التركيز في التقويم البنائي الاجتماعي على الاختبارات الأدائية، اختبارات الموقف، اختبارات الكتابة، والمقابلات للوقوف على قدرة المتعلم على التحدث أو التعبير بالإشارات المختلفة (Ilmiani; 2017).

- خاتمة:

من خلال ما تقدم يمكن القول أن تبني نظرية البنائية الاجتماعية لفيجوتسكي في بناء مناهج الجيل الثاني، يتم على حرص وزارة التربية الوطنية على توظيف النظريات التربوية الحديثة للارتقاء بالأجيال من خلال مشاركتهم الفعالة في العملية التعليمية/التعلمية، وتنمية وظائفهم العقلية العليا وبناء المعرفة لديهم عن طريق التفاعلات، والعلاقات بين الأستاذ ومتعلميه أو بين المتعلمين أنفسهم، وذلك لتجاوز الفردانية في التعلم.

- قائمة المراجع:

- بن سلمان ، سماح محمد صالح (2012): أثر استخدام نموذج التعلم التوليدي في تنمية التفكير الاستدلالي والتحصيل في مادة الكيمياء لدى طالبات الصف الأول الثانوي بمكة أم القرى: المملكة العربية السعودية. المكرمة. رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة خيري، لمياء محمد أيمن (2018). **التعلم النشط**. مصر: مؤسسة يسيطرون للطباعة والنشر والنوع. الدواهيدي، عزمي عطية أحمد (2006). **فعالية التدريس وفقاً لنظرية فيجوتسكس في اكتساب بعض المفاهيم البيئية لدى طالبات جامعة الأقصى بغزة**. رسالة ماجستير غير غزة: فلسطين. -الإسلامية منشورة. الجامعة ريان، سوزان خليل محمد (2010). **فعالية استخدام استراتيجية فيجوتسكي في تدريس الرياضيات وبقاء أثر التعلم لدى طالبات الصف السادس بغزة**. رسالة ماجستير غير منشورة. غزة: فلسطين. -الإسلامية الجامعة العبد الكريم، راشد بن حسين (2012). **النظرية البنائية الاجتماعية وتطبيقاتها التدريسية في المنهج**. مركز بحوث كلية التربية: جامعة الملك سعود.

- غيلوس، صالح(2017). النظرية البنائية الاجتماعية الثقافية(فيجوتسكي) في مناهج لتعليم اللغة(الجيل الثاني). *مجلة جسور المعرفة*. 03(12). 118 - 129.
- اللجنة الوطنية للمناهج (2009). *الدليل المنهجي لإعداد المناهج*. وزارة التربية الوطنية: الجزائر.
- مدرية التعليم الأساسي(2016). دليل كتاب السنة الثانية من التعليم الابتدائي في لمواد اللغة العربية والتربية الإسلامية والتربية المدنية. وزارة التربية الوطنية: الجزائر.
- النمراوي، زياد محمد(2011). فاعلية تطبيق المعلمين للبنائية الاجتماعية في تدريس الرياضيات ودورها في تطوير مهارات الاتصال الرياضي لدى طلبة الصف السادس الساسي في الأردن. *مجلة دراسات، العلوم التربوية*. المجلد 38 ملحق 7. 2314 - 2327.
- الهذلي، إسماء عاطي محمد(2015). فاعلية الرسوم المتحركة والتفاعل المباشر في تنمية مفاهيم الأشكال الهندسة وفق نظرية فيجوتسكي الثقافية الاجتماعية لدى طفل ما قبل المدرسة. *مجلة الطفولة العربية*. العدد 63. 33-67.
- Ilmiani, Aulia Mustika(2017). Connaître l'habileté de la lecture à la lumière de la théorie constructiviste sociale de Vigotsky Étude de cas à l'Université islamique d'État de Balangkaraya. *Jurnal Pendidikan Bahasa Arab dan Kebahasaaraban* . 2(5),-116-125.
-
-
-
-
-
-